مجلة منتدى الأستاذ
المجلد: 21 العدد: 01 السنة: ديسمبر 2025 الصفحات 593- 605

أثر الشاهد القرآني في توجيه موضوعات فقه اللغة العربية

المشجّر في كتاب شجر الدرّ لأبي الطيّب نموذجا

The impact of the Qur'anic witness in directing the topics of Arabic linguistics, represented in the book "Shajar al-Durr" by Abu al-Tayyib as a model

أسماء بن عيسى[1]،*

[1] جامعة بلحاج بوشعيب/ عين تموشنت (الجزائر)، asma.benaissa@univ-temouchent.edu.dz
مخبر الخطاب التواصلي الجزائري الحديث.

تاريخ الإرسال: 2025/08/07 تاريخ القبول: 2025/09/26

الملخص:

تقوم هذه الورقة البحثية بدراسة أثر الشاهد القرآني في توجيه موضوعات فقه اللغة العربية؛ من خلال المشجّر الذي يشكّل نمطا خاصّا من التأليف العربي في هذا المجال، وعمدتنا في ذلك كتاب "شجر الدرّ" لأبي الطيّب، وإذ نغوص في غياهب هذا الموضوع، فإنّ سؤال الطرح يستوي كالآتي: هل للمشجّر ما يعضد تقسيمات معانيه من القرآن؟ أو بتعبير آخر: هل يسهم القرآن الكريم في توجيه هذا الموضوع العربي؟ وقد اعتمدنا المنهج الوصفي لوصفه مقرون بنماذجه ذات الصلة بالهدف المراد.

الكلمات المفتاحية:
الشاهد؛
القرآن؛
المشجّر؛
شجر الدرّ؛
أبو الطيّب؛

ABSTRACT:

This research paper examines the impact of Quranic evidence on guiding the topics of Arabic philology, through the tree, which constitutes a unique style of Arabic authorship in this field. Our main focus is the book "Shajar al-Durr" by Abu al-Tayyib. As we delve into the depths of this topic, the question posed is as follows: Does the tree support the divisions of its meanings from the Quran? Or, to put it another way: Does the Holy Quran contribute to guiding this Arabic topic? We have adopted a descriptive approach to describe it, coupled with its relevant models for the intended purpose.

Keywords:
Witness,
Quran,
Tree,
Shajar al-Durr,
Abu al-Tayyib,

* أسماء بن عيسى.

مقدّمة:

العربية لسان نطقنا بحر لغوي زاخر، ينضح بغنى مفرداته وما تستقيم به من معاني لا تقف عند حدود الإفراد؛ أي معنى المفردة الواحدة الذي نلتمسه في المعاجم، بل إنّ للمتمعّن فيها نظرة أعمق في ظواهرها التي يصدح بها فقه اللغة العربية على غرار المشجّر الذي ينمّ عن مدى سعتها.

ولهذه الظاهرة ما يميّزها على الصعيد اللغوي من تشابك الألفاظ، وتسلسل المعنى؛ الناسل من مصدر واحد؛ وهو ما جعل القدامى يفردون لها المصنفات؛ على رأسها المصنّف المشار إليه آنفا، وقد لا يكون الحديث عن هذا المصنّف حديث العهد؛ ذلك أنّ الدراسات قد تناولته؛ كلّ حسب رؤيته ولكن غايتنا أن نربط موضوعه بالشاهد القرآني؛ امتثالا لجوهر السؤال المطروح عن مدى قيمته في توجيه ظاهرة المشجّر العربية.

ويقتضي الأمر قبل بلوغ المبتغى أن نبسط للقارئ أرضية نظرية، فنلامس من خلالها المشجّر من جوانب كثيرة، وصولا في نهاية المطاف إلى جزئية التطبيق، التي تحقّق الغرض من هذه الدراسة.

1-التأسيس النظري لظاهرة المشجّر العربية:

لكي نقيم لهذه الظاهرة وزنها في التطبيق على ما جادت به مؤلّفات اللغويين القدامى بحثا في إرثهم، ضمن هذه الدراسة؛ فإنّه ينبغي أن نقف عند حدّ المشجّر، وشكله الذي يتميّز به في مقابل ظواهر أخرى من فقه العربية تتباين عنه، كما نطرق باب التسمية، وكذا تاريخ التأليف فيه.

1-1 حدّ المشجّر وشكله وتسميته:

أوّل مزية من مزايا هذا الموضوع أن يستوي المتلقّي له على مفهوم واضح وشامل لما يقوم عليه من مصطلح مهمّ في بابه، إذ غايتنا التعريف به ضمن هذا المطلب؛ حتّى يتسنّى له فهمه، ومنه يتضّح لديه شكله الذي يجعل منه متميّزا عن باقي ظواهر العربية، فضلا عن تسميته.

فالباحث في فقه اللغة يقف على مفهوم المشجّر، الذي يراد به الإتيان بالكلمة المشتركة التي بمثابة الشجرة، تُفرّع الفروع من معانيها المختلفة، فيُسترسل في تفسير الكلام، إلى أن تبلغ الشجرة مائة كلمة أو أكثر، وكلها تتسلسل من كلمة واحدة[1].

فالظاهرة أشبه بالشجرة؛ في عرض اللفظ الواحد أصلا للكلّ، إذ يتفرّع من معناه معاني أخرى يضفيها السابق على اللاحق في شكل تسلسلي، يكشف عن غنى العربية المعجمي وكذا الدلالي، ما يعطي لهذه اللغة فسحة في الألفاظ ودلالاتها التي ينبغي الإحاطة بها.

وعليه يبدو سبب تسمية المشجّر بهذا الاسم واضحا، نسبة إلى الشبه بينه وبين الشجرة؛ في تدرّج معانيه وتداخلها، إذ كما يقول أبو الطيّب: "**لاشتجار بعض كلماته ببعض، أي تداخله؛ فكل شيء تداخل بعضه ببعض فقد تشاجر**"[2].

وفي السياق ذاته، فإنّه يضاف إلى التسمية المشتهر بها في مصنّفات فقه اللغة تسمية أخرى، يشير إليها عبد الرافعي في آدابه؛ فبعضهم كما يقول الرجل، يسمّيه المسلسل، على شاكلة رواة الحديث فيما يناظر هذا النوع لديهم[3].

فالمشجّر إذن ضرب من الاشتراك اللغوي، الذي طالته يد اللغويين القدامى تأليفا فيه؛ في مقابل من يجهل ذلك من أبناء هذه اللغة من المحدثين الذين يسعون لتعلّمها، فلا ضير أن تستثمر هذه الدراسة في مصنّفات فقه اللغة لإظهار هذه الظاهرة التي لم تلق رواجا كما لقيت الظواهر اللغوية؛ على غرار الاشتقاق النحت، والترادف والأضداد وغيرها.

2–1تاريخ المشجّر وما ألّف فيه:

لهذا الفنّ من التأليف أعلامه على قلّتهم، إذ الناظر في تاريخ الظاهرة اللغوية التشجيرية، يمتدّ ببحثه إلى القرن الرابع الهجري، وهو ما يظهره التحقيق نفسه للكتاب النموذج الذي نحن بصدد دراسته، إذ قام بتحقيقه "أستاذ فقه اللغة" محمد عبد الجواد.

يشير المحقق إلى إمام المصنّفين في هذا الباب اللغوي، وهو أبو عمر المطرّز البغدادي (ت 345 هـ)، صاحب كتاب "المداخل"، وقد حذا حذو المطرّز تلميذه الإمام أبو الطيّب اللغوي الحلبي (ت 351 هـ) الذي كان معاصرا له، ويضاف إليهما مصنّف ثالث اسمه "المسلسل" لمؤلّفه محمد بن يوسف عبد الله، التميمي المازني السرقسطي الأندلسي المتوفّى سنة 538 هـ[4].

هذا ونكتفي هنا بالحديث عن "شجر الدرّ" لحاجتنا إليه في هذه الدراسة، تجسيدا لغايتها في تمثّل أثر الشاهد القرآني في تأكيد المعنى ضمن ظواهر العربية، وتحديدا الظاهرة –موضوعنا–، إذ صدر الكتاب في طبعته الثالثة المشتغل عليها عن دار المعارف المصرية، التي تتجاوز ثلاثمائة صفحة شاملة للمادّة والتحقيق.

وعن منهجيته، فقد اعتمد المؤلّف على تقسيم الكتاب إلى ست شجرات تتباين أصولها ومعانيها، والتي تتمثّل في الصحن والهلال والثور والعين والرؤبة والنعل، إذ يعقد على كلّ شجرة منها أصلا، تتفرّع عنه فروع عدا الشجرة السادسة.

ويأتي التشجير مثالا كالآتي[5]:

الشجرة الأولى

جذرها الصحن: قدح النبيذ، وهو الإناء المعروف، وتنقسم إلى خمسة فروع هي:

الصحن: إصلاح الشعب، أي الصدع

الصحن: الإحذاء، أي الإعطاء

الصحن: الضرب، يقال صحنه مائة سوط

الصحن: باحة الدار، فصحن الدار باحتها

الصحن: باطن الحافر من الدابّة.

ومن ثمّ تندرج المدلولات تحت دوالها المتسلسلة؛ بدءا من الجذر الأصل، لتنساق الفروع نحو هذا الشكل اللغوي نفسه في عرض المادّة المعجمية بطريقة تسلسلية، بحيث يذكر اللفظ ومعناه، ومن المعنى لفظ آخر ومعناه وهكذا.

فالتسلسل سمة منهجية لأبي الطيب اللغوي في مصنّفه هذا، الذي كان يفسّر من خلاله اللفظة باللفظة الثانية، والثانية بالثالثة، وهلمّ جرّا، لنعرض جانبا من هذا التأليف المنهجي، وهو ما يندرج ضمن الشجرة الأولى مفتتح الكتاب عموما والأشجار شكله خصوصا، بقوله: "الصحن: قدح النبيذ، والنبيذ: الشيء المنبوذ، والمنبوذ: اللقيط، واللقيط: النوى، والنوى: الشحط، والشحط: الذبح، والذبح: الشق، والشق: النصب إلخ"[6].

فبعد هذه الإطلالة المختزلة على تاريخ الظاهرة، وكذا إحاطة المتلقي بمنهج المؤلّف في تصنيفه، وهو منهج سيبدو أكثر في جزئية التطبيق، وهو ما يفسّر عدم الاسترسال فيه إيضاحا، زد على ذلك بساطة الكتاب، إذ يخلو تقسيمه من التعقيدات، فإنّنا نتّجه صوب الجانب التطبيقي من الدراسة في العنصر الموالي.

2-الشاهد القرآني في توجيه المشجّر من شجرّ الدرّ:

تتجسّد غاية هذه الجزئية في تحقيق أمرين؛ أوّلهما إحاطة القارئ بألفاظ لغته ودلالتها المتولّدة تشجيرا من لفظٍ أصل منه التفريع، وثانيهما الوقوف على جوانب من الاستشهاد القرآني في التدليل على المعنى، وهو ما يجعل من المتلقي يفهم المراد، ويفهم الشاهد في حدّ ذاته؛ أو بتعبير آخر فهم العربية وفهم القرآن؛ فالأولى لسان نطقه، والثاني عليه مدار دينه.

فحين تتبّع المادة اللغوية للكتاب، يظهر أنّ أبا الطيّب اللغوي حين يأتي باللفظ ومعناه من تشجير، فإنّه يستحضر الشاهد القرآني، ليعضد به المعنى ويقوّيه، وإن كان المصنّف يميل في غالبه إلى كفّة الشواهد الشعرية، ولكنّ هذا لا يمنع من استحضار ما جاء فيه من أدلّة قرآنية.

والمراد بالاستشهاد أن يثبت المتكلم أو الكاتب بدليل يعزّز الكلام ويدعّم الرأي، ويستمدّ ذلك من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة، فضلا عن كلام العرب المنظوم والمنثور[7]، فيستوي أحد هذه المصادر شاهدا في توجيه المراد، الذي يتمثّل هنا في توجيه المعنى المنقول إلينا عن طريق التشجير.

ولا ريب أنّ "شواهد القرآن هي الأصحّ والأوثق من بين الشواهد، بل هو قَمّة في البيان العربي لا يضاهيه في المنزلة شعر أو نثر، لبالغتهِ ورصانة أُسلوبه وقَّوة جرسه ودقة معانيه، فالنص القرآني لا يدانيه أثر لغوي في العربية مطلقاً"[8].

2-1عرض الشواهد الواردة في كتاب أبي الطيبّ:

نستهلّ تطبيقنا والمراد منه بعرض الشواهد القرآنية الواردة في الكتاب النموذج، بتحديد موضعها من المشجرّ وجذره الأصلي في الجدول التالي:

الآية القرآنية	تبويب الشاهد
يقول تعالى:﴿ **وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا**﴾	ش1: الصحن/قبل التفريع
يقول تعالى: ﴿ **يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ**﴾	ش1: الصحن/قبل التفريع
يقول تعالى:﴿ **وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ** ﴾	ش1:الصحن/ الفرع 2
يقول تعالى:﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً** ﴾	ش1:الصحن/ الفرع 5
يقول تعالى:﴿ **تُسِيمُونَ** ﴾	ش2:الهلال/قبل التفريع
يقول تعالى:﴿ **يُخْرِجُ الْحَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾	ش4:العين/ قبل التفريع
يقول تعالى:﴿ **فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ** ﴾	ش4:العين/ قبل التفريع
يقول تعالى:﴿ **وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا**﴾	ش4:العين/ قبل التفريع
يقول تعالى:﴿ **فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ** ﴾	ش4:العين/ قبل التفريع
يقول تعالى:﴿ **الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ** ﴾	ش4:العين/ قبل التفريع
يقول تعالى:﴿ **أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلى تَخَوُّفٍ**﴾	ش4:العين/ قبل التفريع
يقول تعالى:﴿ **ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ**﴾	ش4:العين/ قبل التفريع
يقول تعالى:﴿ **وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ** ﴾	ش4:العين/الفرع 5.
يقول تعالى:﴿ **رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ** ﴾	ش5: الرؤبة/قبل التفريع
يقول تعالى:﴿ **فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ** ﴾	ش5: الرؤبة/قبل التفريع
يقول تعالى:﴿ **تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ** ﴾	ش5: الرؤبة/قبل التفريع

ملاحظة: يراد بالرمز ما يعبّر عن الكلمة الأساس "شجرة" التي نرمز لها في الدراسة بحرف (ش)، وكل شجرة لها فروعها التي تتفرّع عنها من الأصل ذاته.

2-2ربط الشواهد بدوال المشجّر ومعانيها:

بعد استخلاص الشواهد من شجر الدرّ، فإنّنا نضعها موضعها؛ لبيان أثرها في ترسيخ المعنى وتوجيهه ضمن المشجّر بدءا بالشاهد الأوّل، وهو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾[9]، إذ يستوي وجود هذا الشاهد في أوّل باب، يترجم لنا أولى شجرات المعجم اللغوي ضمن هذا المصنّف، كما أراده صانعه؛ ولكن قبل التفريع.

فلفظ "الجنّة"، من خلال علاقته بالجذر الأصل، وهو كلمة "الصحن"، يرسّخ معناه كلامه عزّ وجلّ، إذ قام الشاهد بتوجيه معنى دال من دوال المشجّر، الناسل عن الأصل بشكل تسلسلي، يخدم متعلّم العربية في إفادته من الرصيد المعجمي، وكذا معنى اللفظ القرآني، لنعرض هذا التسلسل وصولا إلى الدال وشاهده فيما يلي:

يقول أبو الطّيب:

"والنّصَب: القوم المعيُون من سير أو غيره، والسّير: السَّوق، يقال سِرت الناقة، أسيرها، سيرا، إذا سقتها لتسير (...) والسَّوق: خروج النفْس، والنّفْس:كف من دباغ ،والكف من الطائر: مثل القدم من الإنسان، والقدم: التَّمهُّر في العمل، والتمهّر: مصدر تمهّرتُ الحِجر: إذا أشبهت المهارة، والحِجر: الحرام، والحرام: النملة السّوداء، والنملة :حبن من الحبون، والحبون: التأطم، والتأطم: امتناع النجو (...) والنّجو: الارتفاع من الأرض، والأرض: القشعريرة، والقشعريرة: بدء يبس الكلأ، والبدء: سيّد القبيل، والقبيل: كالفخذ من العرب، وهو دون القبيلة، والقبيلة أحد شئون الرأس، والشئون: العواهن، والعواهن: القلبة من النخيل، والنخيل: الدقيق (المنخول)، فعيل بمعنى مفعول، والمنخول: الحديث بالصدق، يقال نخلت له الحديث أي أخلصته، والناخل: الخالص (...) والحديث: ضدّ العتيق، والعتيق: الفرس الجواد، والجواد: المِذِل بماله، والمِذِلُ: الخذر الرجل، والرجل: السدّ من الجراد، والسدّ: سحابة تسدّ الغزالة، والغزالة: الظبية"[10].

ويضيف قائلا: "والظبية: كيس من أَدم، والأَدَم: وجه الجدالة، والجدالة: الخلالة (...) والخلالة: الخلّة، والخلّة: الفقر، والفقر:كسر المتن، والمتن: الديمومة في المكان، والديمومة: فلاة يدوم السير فيها لبعدها، والسير: القِدّ، والقِدّ: كلّ شيء مقدود، والمقدود: الحسن القدّ من الناس، والقدّ: مثل الجدّ وهو القطع، والجدّ: أبو الأب وأبو الأم (...)والأمّ :معظم الطريق، والطريق: النخلة التي تنالها اليد، وبعضهم يقول التي تفوت اليد، واليد: المنُّ، والمن: عسل كان يسقط من السماء لبني إسرائيل،، والعسل: عدو الذئب، والعدْوُ: العدَوَّ والبغى. والبغى: ترامي القرح إلى الفساد، والقُرْحُ: جمع أقرح، والأقرح من الخيل، وهو الذي في جبهته بياض لا يبلغ أن يكون غرّة، والغرة: الوجه(...)والوجه النمط من الديباج، والديباج: الناقة الليّنة المسّ، والمسّ: الجِنّةُ، والجِنّةُ: الأملاك، قال (الله) سبحانه و(تعالى): "وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا""[11].

فالجذر الأصلي للتشجير، يتفرّع عنه فروع كثيرة، تزيد من سعة العربية الأمّ ورصيد المتحدّث بها، وليس هذا فحسب بل للشاهد القرآني، الذي تستأنس به هذه الظاهرة دوره في التسلسل، وفهم اللفظ ضمن سياقه الخاص به.

ويليه الشاهد الثاني بقولهﷻ: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾[12]، وهنا يلقي الشاهد القرآني بظلاله على الشاكلة نفسها، وضمن الموضع ذاته لفظا (الصحن)، ليخدم الجذر الأصل في تسلسله أيضا، وهو تسلسل يؤول إلى معاني أخرى تتفرّع إليها الشجرة، فيثري قارئ العربية رصيده اللغوي تتمة بمايلي: "والأملاك: جمع مَلك، والمِلْك: العجين الناعم العَجْن، والعَجْن: أن يعتمد الشيخ بباطن كفه على الأرض إذا قام، والشيخ:ضرب من البقل، والبقل: نجُوم الشعر في وجوه المردِ، والمرد: رمال لا تنبت شيئا (...) والرّمال: نسج الحُصْر، والحُصْرُ: امتناع الطّوف، والطَوف: الغائط، والغائط: بطن مطمئن من الأرض، والبطن: ذون القبيلة من العرب، والعرب: فساد الجوف، والجوف: الواد الغامض، والغامض: الضربة تغمض في العظام، والعظام: جمع عظيم، والعظيم: المكسور العظم، والعظم: ظهر عَجْسِ القوس (...) والقوس: البقيّة من التمر في الجلّة، والبقية: المنظورة، والمنظورة: المرقوبة،

والمرقوبة: المضـــروبة الرقبة، والرقبة: جمع راقب، والراقب: مثل الرقيب، والرقيب: الذي يرقب [اليســـار، واليســار:]الميسِـر، والميسـر: الثروة في المال، والثروة: الدَّهم من الناس، والدَّهم: شمول الأمر بغتة(...) والشـمول: هبوب الريح شمالا، والريح: الغلبة، والغلبة جمع غالب، وغالب: أب من آباء النبي صـلّ الله عليه وسـلّم وعلى آله، والنبي: الرَّباوة من الأرض، والرَّباوة: الزيادة، والزيادة: خلب الكبد، والخِلب: المفتون بالنســـاء، يقال: إنّه خلب نساء، كما يقال: تبع نساء، والمفتون المحْرق من قوله عزّ وجلّ: "يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ" أي يحرقون""[13].

فالشاهد هنا يسهم في تثبيت المعنى لأحد دوال المشجّر ومدلوله، فيعضد العربية من جهة، وبدورها تكشف عن دلالة اللفظ القرآني لقارئ الآية، أو بالأحرى تضعه في سياقه الذي يفهم من خلالها، فلا مناص للعربية عن القرآن والعكس صحيح.

كما نستأنس والمؤلّف بالشاهد الثالث، الذي يقول فيه ﷻ: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾[14]، وهنا كذلك ينهض وجود هذا الشاهد في أوّل باب، للتدليل والتعزيز، ومن ثم نقطف فرعا من هذا المشجّر؛ في صلته باللفظ العربي والقرآني "الرجع"؛ من خلال علاقته بالجذر الأصل "الصحن"، في فرعه الثاني المتسلسل.

فنعرض هذا التسلسل بما يفيد متكلّم العربية إحاطةً بمعاني بعض الألفاظ كالآتي:"والصّحن: الإحذاء، والإحذاء: أن تهب للرجل نعلا، والنّعل: العتب من الأرض، أي الغلظ، والعتب: ظلع البعير: والبعير: ما يخرج من (خوارين) الإبل من البعر"[15].

ويضيف أبو الطيّب إلى أن يصل إلى الشاهد: "والإبل، قال المفسّرون في قوله عزّ وجلّ: أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت، قالوا الإبل ههنا: الغيم، والغيم: تغطية الغمّ على القلب، والقلب: الرجع، والرجع: المطر، ومنه قوله عزّ وجلّ: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴾، هكذا قال المفسّرون"[16].

فالشاهد القرآني هنا أداة فعّالة أيضا في توجيه المشجّر نحو معنى من معاني معانيه التي يكشف عنها الدال العربي ويعضدها كلامه عزّ وجلّ.

وضمن الشواهد أيضا قوله ﷻ: ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً**﴾[17]، فيستقرّ هذا الشاهد في شجرة الصحن في فرعها الخامس، إذ يقول المؤلّف: "والصّحن: باطن الحافر، والحافر الذي ينبث الأرض بمعول أو نحوه والمعول: الرجل الكثير العَول، والعول: القيام بأمور العَيْلَة، والعيلة: الخصاصة، [قال الله تعالى وإن خفتم عَيْلة]"[18].

ومن هذا التسلسل، نقطف فرع اللفظ القرآني المتدرّج على نحو سابقيه، فندفع بمعناه إلى القارئ؛ بناء على المراد في هامش التحقيق، إذ العيلة الخصاصة، والخصاصة هي "الفقر وسوء الحال"، فيتبيّن هنا أيضا أحد فروع هذه الشجرة اللغوية؛ من خلال اعتماد المصنّف على الشاهد القرآني، إذ يعضد معنى اللفظ "العيلة" بشرحه ما ورد في التنزيل الحكيم، والتنزيل يؤكّد معناه.

ويأتي قوله تعالى: ﴿تُسِيمُون﴾[19]، إذ يقوم هذا الشاهد اللفظي من كتابه عزّ وجلّ بتوجيه التشجير اللغوي، ضمن مشجّر مغاير، لفظه الأصل "الهلال"، فيترتّب عن ذلك إحاطة القارئ بالتسلسل الآتي:

"الهلال: هلال السماء، والسماء: منسج الفرس، والمنسج: ممتدّ نير الحائك، والنيّر: علَم الثوب، والعلَم: الجبل الشامخ، والشامخ: التائه على الناس، والتائه الضائع، والضايع: ذو الضيعة، والضيعة العطلة، والعطلة: المرأة غير الحالية وقد يقال بغير هاء. والحالية: القاشرة للجلود، والقاشرة: سنة الجذب، والجذب: الذّمّ، والذم: البئار ﷺ القليلة المياه، والبئار: المباراة في الحفر ،والحفر: القادح في السن، والقادح: موري الزّند، والزند: أنبوب الساعد، والأنبوب: كريب القنا، والقنا: حدب في المرسن، والحدب: الحنوّ على الإنسان، والحنو: العِطاف: والعطاف: نصل السيف، والنصل: السِّنان، والسّنان: عدْو الفحل على الناقة، والفحْل: ذكر النخل، وهو الفُحّال أيضا (...) والذكر: القضيب، والقضيب: الناقة التي لم يذل طماحها بعد، والطماح: الزيادة في السَّوْم، والسّوْم: الرعى، وفي التنزيل: تسيمون أي ترعون"[20].

فالشاهد له غايته في هذا القالب اللغوي التّسلسلي، بمدّ الفرع قيمته الدلالية، التي ينهلها المؤلّف من كتابه عزّ وجلّ تأكيدا للمعنى. وبدوره القارئ، يغرف من بحر اللغة استئناسا بمعاني هذه الفروع، قبل بلوغ منتهى الجذر الأصلي؛ بمتّسع من الألفاظ ومعانيها.

والتي لا يمكن لهذه الدراسة أن تسعها كلّها إلّا ما كان المسلك منها نحو تحقيق الإفادتين معا؛ إفادة اللغة والشاهد، وهو ما يناسب غايتها؛ لأنّ الهدف كما سلف الإفصاح عنه هو إفادة القارئ برصيد لغوي تؤطّره هذه الظاهرة المسمّاة المشجّر، في علاقتها بالشاهد القرآني الذي له الأثر البيّن في توجيهها.

فالعملية البنائية لهذه الدراسة ضمن تيمتها التي نراهن عليها، تقف عند حدود الشاهد وما قبله فقط، على أن يجد القارئ، لاسيّما المبتدئ* متّسعا؛ حين التجاوز بصدر رحب.

ونضيف إلى الشواهد قوله ﷺ: ﴿يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[21]، إذ يُستأنس بهذا الشاهد في بابه الرابع، الذي يبنى تشجيره على الأصل "العين"؛ من خلال لفظ "الخبء"، فهذا اللفظ، يظفر من ورائه القارئ العربي بتشجير لغوي، تقوم جذوره على مألوف محسوس، نحو معاني أخرى، مبلغها الشاهد؛ في تأكيده لمعنى أحد الفروع الناسلة من الأصل، على النحو الآتي:

"العين: الوجه، والوجه: القصد، والقصد: الكسر، والكسر: جانبُ الخِباءِ، والخباء: مصدر خابأت الرجل، إذا خبأت له خبْئا وخبأ لك مثلهُ، والخبء: السّحاب، من قوله تعالى: "يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ""[22]. فالخبء: السحاب؛ في سياقيه اللغوي المتسلسل تشجيرا، وكذا القرآني في معناه التأكيدي، فحصيلة القارئ ههنا أيضا معجمٌ تشجيري، وشاهد قرآني مشروح لفظه.

وفي قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾[23]، يُعنى الشاهد هنا بالمعنى التسلسلي للأصل العين قبل التفريع أيضا، والذي يقود تسلسل دواله ومدلولاتها إلى بلوغ معنى "المرض" المجاوز للعلّة التي تصيب البدن إلى المرض القلبي، بعد أن يحصّل القارئ مجموع ألفاظ ومعانيها كالأتي:

"والسّحاب: اسم عمامة النبي صلّى الله عليه وسلّم، والنبيّ: التل العالي، والتلّ: مصدر التليل وهو المصروع على وجهه، والتليل: صفح العنق، (...) والعنُق: الرّجل من الجراد، والرّجل: العهد، يقال كان ذلك على رجل

الحجاج، أي على عهده، والعهد: المطر المعاود، والمعاود: المريض الذي يعودك في مرضـــك (وتعوده في مرضـــه)، والمريض: الشاكّ، والمرض في القلب: الشكّ، وفي التنزيل: في قلوبهم مرض"[24].

فالشاهد هنا يركن إلى معنى من معاني المشجّر في تسلسله، ليعمل على تأكيد المعنى، وبهذا يمارس حقّه في جعل العربية قرينة كتابه عزّ وجلّ مادام المعنى واحدا.

وما نستحضره أيضا قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾[25]، فنرى الشاهد له أثره البيّن بما يعضد أحد معاني التسلسل الذي يأتي تتمّة لما قبله كالآتي: "والشاكّ: الطّاعن (...) والطّاعن الداخل في السنّ، والسنّ: قرن من كلأ، أي قطعة، والقرن: الأمّة من الناس، والأمّة: الحين من الدّهر(...) والحين: حَلب الناقة من الوقت إلى الوقت، والحَلَب: ماء الســماء، والســماء: ســقف البيت، والبيت: زوج الرجل، والزوج: النمط من فرش الديباج، والفرش: أفتاء الإبل، من قوله تعالى: "وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا""[26].

فالشاهد القرآني له لمسته الدلالية في توجيه المشجّر بيانا لمعنى الفرش، الذي يقوّيه قوله تعالى ويعزّزه؛ مؤكّدا المعنى اللغوي، الناسل عن الجذر الأصلي "العين" من عمق الشجرة، وهي هنا رقم 4 في تعداد التشجير العام الذي يقوم عليه المصنّف.

ومن أثار التوجيه القرآني للمشجّر أن ورد قوله ﷻ: ﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴾[27]، فغاية هذا الشاهد البلوغ بالتسلسل عند مقصد اللفظ "السائح"؛ بعد توالي تجشير الجذر الأصل، الذي عليه مدار العملية، ضمن بابها الرابع أيضا. فالمألوف "العين" يمتدّ تشجيره هنا أيضا بشكل تسلسلي، يجمع الألفاظ ومعانيها، فنقطف فروعها إلى غاية الشاهد من قول أبي الطيّب:

"والإبل قال المفسّرون في قوله تعالى: أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت؟!، قالوا الغيم، والغيم: الصدى من العطش، والصّدى: ما تحتوي عليه الهامة من الدماغ، والهامة: جامع هايم، وهو العطشان وكذلك الأهيم، و(والأنثى هيْماء)، وفي التنزيل: فشاربون شرب الهِيم"[28].

فوظيفة هذا الشاهد تؤثر بدورها في التدليل على فرع من فروع التشجير اللغوي للفظ الأصل السابق ذكره، فتعضد الظاهرة، وتؤنس المتلقّي لها.

ومن الشواهد أيضا، قوله عزّ وجلّ: ﴿الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُون﴾[29]، إذ ينحو هذا الشاهد– في الموضع نفسه– نحو الاختصاص بمعنى من معاني شجرة "العين"، لنقطف ثمار لفظه بعد التسلسل الوارد فيه: "والهايم: السائح في الأرض، والسائح: الصائم من قوله عزّ وجلّ: "الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ""[30]. فالوعي بالمشجّر دوالا ومدلولات، يعقبه إدراك لمعنى السائحين لفظا قرآنيا؛ والشاهد بدوره يخدم التشجير على سبيل التأكيد اللغوي.

وورد ضمن التشجير أيضا في شجر الدرّ قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلى تَخَوُّفٍ ﴾[31]، وذلك في قول أبي الطيّب اللغوي متسلسلا بالألفاظ ومعانيها: "والصايم: القائم، والقايم: صومعة الراهب، والراهب: المتخوّف، والمتخوّف: الذي يقتطع مال غيره فيتنقّصه، ومنه قوله تعالى: أو يأخذهم على تخوُّف أي تنقّص"[32].

وهنا الموضع نفسه، أي شجرة "العين" الرابعة في هذا النمط من التأليف، والذي دعا المؤلّف للاستئناس بالشاهد القرآني –بلا شكّ– هو تأكيد معنى "المتخوّف"، إذ يسهل الإلمام بمعناه في ظلّ وجود هذا الشاهد في تأكيده للمعنى المعجمي.

وجاء أيضا قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾[33]، وعمدة هذا الشاهد هو لفظ "الإفاضة" الذي يرد ضمن تسلسله التالي:

" والمال :الرجل ذو الغنى والثراء، والثراء: كثرة الأهل، والأهل: الخليق، يقال فلان أهل لكذا ،أي خليق به، والخليق: المخلوق أي المقدّر ،يقال خلقت الشيء إذا قدرته (...) والمخلوق: الكلام الزور، والزور: القوة، أو القوة: الطاقة من طاقات الحَبل، والطاقة: المقدرة، والمقدرة: اليسار، واليسار: خلاف اليمين، واليمين: الألْيّة، والألْيّة: التقصير، والتقصير: [قص الشعر]، بخلاف الحلق، والحلق: الذبح (...) أي ذابح، بروى حاذق، والحاذق: القاطع، والحالق: الذابح، والذّبح: الشقّ، والشقّ: شدّة المر على الإنسان، والشدّة: الجلَد، والجلَد: الحزم (من الأرض)، والحزم: شدّة حزام الفرس، والحزام :مصدر تحازم الرجلان إذا تباريا أيّهما أحم للخيل، أي أحذق بحزمها"[34].

ويضيف أبو الطيّب إلى غاية بلوغ الشاهد قوله:" والأحزم: الأحدق بالأمور، والأحكم: الأمنع، يقال: الحدّ أحكم للزاني، أي أمنع له من المعاودة، والأمنع: الجانب المنيع، والمنيع: الشيء الممنوع ممن طلبه (...) والطّلب: القوم الطالبون، والقوم: الرجل القايم، والقايم:المصلّى، والمصلى من الخيل: الذي يجيء بعد السابق في الجري، والجري: الإفاضة (في الأخبار)، والإفاضة: الانكفاء من قوله تعالى :" ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ""[35].

فالشاهد هنا يتضافر مع دلالة اللفظ التي تنبعج من عمق المشجّر، في ترسيخ المعنى الدال لغويا الذي يتناسب وقوله تعالى حسب السياق المراد من الآية.

وفي جوانب الاستشهاد القرآني الأخرى، نقف عند قولهﷻ: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴾[36]، فينطق كلامه تعالى شاهدا على معنى تشجيري، يمتدّ جذره إلى الفرع الخامس من شجرة العين الرابعة، وهو ما يمثّله التسلسل التالي: "والعين: مطر لا يقلع أيّا ما، ومطر: حيّ من أحياء العرب، والأحياء: جمع حياء الناقة، والحياء: الاستحياء، والاستحياء: الاستبقاء، ومنه قوله تعالى: ويستحيون نساءكم"[37].

فالشاهد هنا يرصد علاقة مباشرة بين المعنى التشجيري وكلامه عزّ وجل؛ في تثبيت معنى الاستحياء الذي يحيل على الاستبقاء والبقاء؛ ليتشاكل المعنى المعجمي مع سياق الآية في تفسير المفسّرين باعتبار آل فرعون ومظالمهم.

ونضيف ما تيسّر من أقوال تشترك في جذرها الأصل "الرؤبة"، إذ يقول أبو الطيّب: "الرؤبة: الحاجة، يقال فلانما يقوم برؤبة أهله. أي بحاجتهم، والحاجة: القوم المخفقون، أي الفقراء، والمخفق: الصائد الذي يرمي فلا يصيب، والمصيب: القاصد، من قوله تعالى: رخاءٌ حيث أصاب"[38].

ويقول أيضا: "والقاصد: الكاسر، [قصدته إذا كسرته]، والكاسر: العقاب، والعقاب: راية الجيش، والجيْش: جيشان النفس، والنّفس: العين تصيب الإنسان، والعين: وهيٌ يكون في السقاء فيرشح، يقال منه سِقاء عيّنٌ (...) والوهي: الصّدع في الجبل، والصّدع: المجاهرة في الحق، من قوله عزّ وجلّ: فاصدع بما تؤمر"[39].

كما جاء في شجر الدرّ: "والمملوكة: العجنة من الدقيق التي أحكم عجنها، والمَلْكُ: إحكام العجْن، والعجن: اعتماد الشيخ بيديه على الأرض إذا نهض للقيام، والشّيخ: نبت، والنّبت: مصدر نبت الزّرع إذا طلع، والزرع: الإنماء، يقال: زرع الله (الصبيّ: إذا أنماه)، والصبيّ: مجتمع فك اللحى، والفكّ: فضّ خاتم الكتاب، والفضّ: التبديد والتفريق، والتبديد: الكلال، يقال بدّد الرجل إذا أعيا وكلّ (...) والكلال: سوء قطع السّيف، والسوء: البياض في بدن الأبرص، من قوله تعالى: تخرج بيضاء من غير سوء"[40].

فالأقوال تباعا، تتضمّن آيات تعكس أهمّية الشواهد القرآنية في توجيه ظاهرة المشجّر العربية عموما والمعنى المراد من كلّ لفظ من ألفاظ الشجرة الذي يقترن بالشاهد، سواء في تأكيد معنى القصد من خلال سياق سليمان عليه السلام، أو معنى الجهر، فضلا عن البياض الملازم لبدن مخصوص، تقوي معناه الآية في علاقتها بموسى عليه السلام.

صفوة القول أنّ الشاهد القرآني، يشكّل مسلكا مهمّا من مسالك التأكيد اللغوي؛ في الظفر بمعاني ألفاظ العربية، على تنوّع ظواهرها، منها ظاهرة المشجّر؛ وهو ما يؤكّده مصنّف أبي الطيّب اللغوي في عرضه للظاهرة وجمع شتات ألفاظها.

الخاتمة:

بعد هذه الوقفة العلمية التي قادتنا نحو مصنّف مهم في مجاله، وضمن موضوع هامّ أيضا في فقه العربية، فإنّنا نخلص إلى النتائج التالية:

- يعدّ كتاب "شجر الدرّ" لأبي الطيّب من ذخائر فقه اللغة التي لا غنى لمتعلّم العربية عنها.
- يرصد الكتاب ظاهرة المشجّر التي لم تلق اهتماما كبيرا من الدارسين في مقابل اهتمامهم الكبير بظواهر أخرى كالمشترك والترادف والأضداد وغيرها.
- يستوي الكتاب بكيفية منهجية خاصّة، يكتسي من خلالها طابعا خاصّا في التأليف المعجمي.
- يقدّم الكتاب رصيدا معجميا زاخرا من الألفاظ ومعانيها؛ بشكل تسلسلي، ينمّ عن إلمام صاحبه باللغة.
- تتتابع الألفاظ مقرونة بمعانيها؛ باعتماد اللفظ الأساس، وما يليه من فروع، تكتمل بها الشجرة اللغوية بجذرها الأصلي.
- يتميّز الكتاب بغنى شواهده منها الشاهد القرآني الذي يتكرّر في مواضع كثيرة من التشجير.
- أدّى الشاهد القرآني دوره في التوجيه، بما يعزّز معاني الألفاظ ويقوّيها.

وختاما، فإنّ هذا الكتاب له شأنه في التأليف العربي القديم، لذا نهيب بالباحثين من طلّاب العربية الاهتمام به أكثر استجلاءً لمواضيع أخرى يحملها في مادّته، ومن ثمّ يحقّق الباحث فيه الغرض العام، وهو الإلمام بلغته وتفاصيلها على الصعيدين المعجمي والدلالي.

المصادر والمراجع:

1-الحمد، محمد إبراهيم، (2005)، فقه اللغة مفهومه–موضوعاته قضاياه، دار ابن خزيمة، المملكة العربية السعودية.

2-كزار، هدى حامد، (2018)، قيمة الشاهد القرآني في كتاب الجنى الدانّي للمرادي (ت 749 هـ)، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، بابل، ع41، ص ص 1375–1381.

3-اللغوي، أبو الطيّب عبد الواحد بن علي، (1985)، شجر الدرّ في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة، دار المعارف، القاهرة.

4-الرافعي، مصطفى صادق، (2000)، تاريخ آداب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان.

الهوامش والإحالات:

[1] ينظر: محمد إبراهيم الحمد، فقه اللغة مفهومه–موضوعاته قضاياه، دار ابن خزيمة، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط1، 2005، ص263.

[2] أبو الطيّب عبد الواحد بن علي اللغوي، شـــجر الدرّ في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة، تحقيق: محمد عبد الجواد، دار المعارف، (د.م)، ط3، 1985، ص 62.

[3] ينظر: مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، 2000، ص154.

[4] ينظر: أبو الطيّب عبد الواحد بن علي اللغوي، شجر الدرّ في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة، ص18–19.

[5] ينظر: المصدر نفسه، ص40.

[6] المصدر نفسه، ص63–64.

[7] ينظر: هدى حامد كزار، قيمة الشاهد القرآني في كتاب الجنى الدانّي للمرادي(ت749هـ)، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، بابل، 2018، ع 41، ص 1376.

[8] المرجع نفسه، ص.ن.

[9] سورة الصافات، الآية 158. [10]

[10] أبو الطيّب عبد الواحد بن علي اللغوي، شجر الدرّ في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة، ص64–69.

[11] المصدر نفسه، ص69–75.

[12] سورة الذاريات، الآية 13.

[13] أبو الطيّب عبد الواحد بن علي اللغوي، شجر الدرّ في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة، ص75–80.

[14] سورة الطارق، الآية 11.

[15] أبو الطيّب عبد الواحد بن علي اللغوي، شجر الدرّ في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة، ص84.

[16] المصدر نفسه، ص85.

[17] سورة التوبة 28.

[18] أبو الطيّب عبد الواحد بن علي اللغوي، شجر الدرّ في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة، ص91.

[19] سورة النحل، الآية 10.

[20] أبو الطيّب عبد الواحد بن علي اللغوي، شجر الدرّ في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة، ص93–98.

[21] سورة النمل، الآية 25.

[22] أبو الطيّب عبد الواحد بن علي اللغوي، شجر الدرّ في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة، ص161.

[23] سورة البقرة، الآية 10.

[24] أبو الطيّب عبد الواحد بن علي اللغوي، شجر الدرّ في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة، ص161-163.

[25] سورة الأنعام، الآية 142.

[26] أبو الطيّب عبد الواحد بن علي اللغوي، شجر الدرّ في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة، ص163.

[27] سورة الواقعة، الآية 55.

[28] أبو الطيّب عبد الواحد بن علي اللغوي، شجر الدرّ في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة، ص163-164.

[29] سورة التوبة، الآية 112.

[30] أبو الطيّب عبد الواحد بن علي اللغوي، شجر الدرّ في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة، ص165.

[31] سورة النحل، الآية 47.

[32] أبو الطيّب عبد الواحد بن علي اللغوي، شجر الدرّ في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة، ص165.

[33] سورة البقرة، الآية 199.

[34] أبو الطيّب عبد الواحد بن علي اللغوي، شجر الدرّ في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة، ص165-167.

[35] المصدر نفسه، ص167-168.

[36] سورة البقرة، الآية 49.

[37] أبو الطيّب عبد الواحد بن علي اللغوي، شجر الدرّ في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة، ص181.

[38] المصدر نفسه، ص192-193.

[39] المصدر نفسه، ص193-194

[40] المصدر نفسه، ص203-204.